Journal Of the Iraqia University (77-2) 31 October (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIline ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي بين الحضور والتغييب

م . م نضال حسين عمهي
وزارة التربية / مديرية تربية واسط

"The Female Poet in the Pre-Islamic Era: Between Presence and Absence"

Asst. Lec. Nidal Hussein Amhi
Ministry of Education / Wasit Education Directorate
Hndal2903@gmail.com

الملخص

يتناول موضوع المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي بين الحضور والتغييب ظاهرة أدبية وثقافية تعكس طبيعة المجتمع العربي القديم وتوازناته الاجتماعية. فعلى الرغم من هيمنة الطابع الذكوري على الحياة العامة، فإن المرأة لم تكن غائبة تمامًا عن المشهد الشعري، بل كان لها حضور واضح في مجالات معينة، وإن ظل هذا الحضور محدودًا مقارنة بإنتاج الرجال.برزت المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي بشكل خاص في مجال الرثاء، حيث وجدت فيه مساحة مشروعة للتعبير عن مشاعرها العميقة تجاه الفقد والحزن. وتُعد الخنساء النموذج الأبرز لهذا الحضور، إذ استطاعت أن تخلّد اسمها من خلال قصائدها المؤثرة في رثاء أخويها، وقد تميز شعرها بصدق العاطفة وقوة التأثير، حتى نافست كبار الشعراء في عصرها. ويكشف هذا النموذج عن أن المرأة كانت قادرة على الإبداع الشعري متى ما أُتيحت لها الفرصة المناسبة.إلى جانب الرثاء، ظهرت المرأة في بعض الأغراض الأخرى مثل الغزل العفيف والحكمة، إلا أن مشاركتها في موضوعات كالفخر والهجاء كانت محدودة، نظرًا لارتباط هذه الأغراض بطبيعة المجتمع القبلي الذي يهيمن عليه الرجال. وقد انعكس ذلك على طبيعة شعر المرأة، الذي اتسم في الغالب بالنزعة الوجدانية والتركيز على التجربة الذاتية.لكن هذا الحضور لم يكن كافيًا ليجعل المرأة في موقع متكافئ مع الرجل في الساحة الشعرية، إذ تعرضت لتغييب نسبي نتيجة عدة عوامل، أبرزها القيود الاجتماعية التي حدّت من حرية المرأة في التعبير، إضافة إلى ضعف التدوين في ذلك العصر، مما أدى إلى ضياع الكثير من الشعر النسوي. كما أن الرواة والنقاد القدماء لم يولوا شعر المرأة نفس الاهتمام الذي منحوه لشعر الرجال، الأمر الذي ساهم في تهميش هذا النتاج الأدبي.**الكلمات المفتاحية** : المرأة الشاعرة، العصر الجاهلي، الحضور والتغييب.

Abstract

The topic of women poets in the pre-Islamic era between presence and marginalization reflects a significant literary and cultural phenomenon that reveals the nature of ancient Arab society and its social structures. Despite the dominance of a patriarchal system in public life, women were not entirely absent from the poetic scene; rather, they maintained a noticeable presence in certain areas, although this presence remained limited compared to that of men. Women poets in the pre-Islamic era particularly excelled in the genre of elegy, where they found a socially acceptable space to express deep emotions of grief and loss. The most prominent example is Al-Khansa, who immortalized her name through her powerful elegies for her brothers. Her poetry is marked by emotional sincerity and strong impact, to the extent that she rivaled leading male poets of her time. Al-Khansa's mastery demonstrates that women were fully capable of poetic creativity when given the opportunity. In addition to elegy, women also contributed to other poetic themes such as chaste love poetry and wisdom. However, their participation in genres like praise and satire was limited, as these were closely tied to the tribal structure dominated by men. This reality shaped the nature of women's poetry, which often emphasized emotional expression and personal experience. Moreover, this presence was not sufficient to place women on equal footing with men in the poetic arena. Women poets experienced a degree of marginalization due to several factors, most notably social constraints that restricted their freedom of expression. Furthermore, the lack of systematic documentation in that era led to the loss of much of women's poetry. Early transmitters and critics also tended to prioritize male poetry, contributing to the relative neglect of female literary production.

Keywords: Female poet, pre-Islamic era, presence, absence.

يُعدّ الشعر في العصر الجاهلي مرآةً صادقةً تعكس ملامح الحياة العربية القديمة، بما تحمله من قيمٍ اجتماعية وبُنى ثقافية وأنماط تفكير سائدة. وقد شكّل هذا الشعر سجلًا حيًّا لتجارب الإنسان العربي، حيث برز فيه صوت الرجل بوصفه المعبّر الأبرز عن قضايا القبيلة ومفاخرها وصراعاتها، الأمر الذي جعل الحضور النسوي يبدو أقل وضوحًا في هذا المشهد الأدبي. غير أنّ هذا الغياب الظاهري لا يعني انعدام دور المرأة، بل يكشف عن حضورٍ نوعيٍّ تميّز بخصوصيته وارتبط بمجالات محددة من التعبير الشعري.إنّ المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي تمثّل ظاهرة تستحق الوقوف عندها، لما تحمله من دلالات تتصل بطبيعة المجتمع الذي نشأت فيه، وحدود المشاركة النسوية في المجال الثقافي. فقد استطاعت المرأة، على الرغم من القيود الاجتماعية الصارمة، أن تعبّر عن ذاتها وأن تترك أثرًا واضحًا في بعض الأغراض الشعرية، وفي مقدمتها الرثاء، الذي أتاح لها مساحة مشروعة للتعبير عن مشاعر الحزن والفقد. وتبرز في هذا السياق شخصية الخنساء بوصفها نموذجًا فريدًا للقدرة الإبداعية النسوية، حيث تجاوز شعرها حدود التجربة الفردية ليغدو شاهدًا على قوة التعبير وصدق العاطفة.ومن هنا تنطلق إشكالية هذا البحث في محاولة الكشف عن طبيعة حضور المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي، ومدى فاعليته في مقابل مظاهر التغييب التي فرضتها الظروف الاجتماعية والثقافية. فهل كان حضور المرأة حضورًا حقيقيًا ومؤثرًا في الساحة الأدبية، أم أنه ظلّ محدودًا ومحكومًا بإطار ضيق من الموضوعات؟ وما الأسباب التي أدت إلى تقليص هذا الحضور أو تغييب جزء كبير منه في المدونات الأدبية؟يسعى هذا البحث إلى مقاربة هذه الإشكالية من خلال قراءة تحليلية تستند إلى المنهج الوصفي، مع الاستفادة من النماذج الشعرية المتاحة، بغية الوقوف على خصائص الشعر النسوي في العصر الجاهلي، واستجلاء العوامل التي أسهمت في إبراز صوت المرأة أو تهميشه. كما يهدف إلى إعادة النظر في هذا النتاج الأدبي بوصفه جزءًا أصيلًا من التراث الشعري العربي، لا يمكن إغفاله أو التقليل من شأنه.وبذلك، تأتي هذه الدراسة محاولةً لفهم جدلية الحضور والتغييب في تجربة المرأة الشاعرة، والكشف عن صوتٍ أدبيٍّ استطاع أن يفرض وجوده رغم التحديات، مسهمًا في إثراء المشهد الشعري العربي القديم وإضفاء بعدٍ إنسانيٍّ عميق عليه.

الفصل الأول حضور المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي

لم تكن المرأة في العصر الجاهلي غائبة عن ميدان الشعر، رغم سيطرة الطابع الذكوري على الحياة الثقافية آنذاك، بل كان لها حضور ملحوظ وإن اتسم بالمحدودية. فقد برز صوت المرأة الشاعرة في مواقف إنسانية خاصة، ولا سيما في الرثاء، حيث وجدت فيه متنفسًا صادقًا للتعبير عن مشاعر الحزن والفقد. وتُعدّ الخنساء أبرز نموذج لهذا الحضور، إذ تميز شعرها بعمق العاطفة وقوة التأثير، مما منحها مكانة مرموقة بين شعراء عصرها.وقد اتسم شعر المرأة عمومًا بالنزعة الوجدانية والتركيز على التجربة الذاتية، كما ظهر في بعض الأغراض الأخرى كالغزل العفيف والحكمة، إلا أن مشاركتها في مجالات مثل الفخر والهجاء بقيت محدودة، نظرًا لارتباطها بالبنية القبلية التي هيمن عليها الرجال. وعلى الرغم من هذا الحضور، فإن شعر المرأة لم يحظَ بالانتشار والتدوين الكافي، مما أدى إلى ضياع جانب كبير منه.

المبحث الأول مفهوم الشعر النسوي وخصائصه في العصر الجاهلي

اولاً : تعريف الشعر النسوي

يُعدّ مصطلح الشعر النسوي من المصطلحات التي برزت في الدراسات النقدية الحديثة، ويُقصد به عمومًا ذلك النتاج الشعري الذي تكتبه المرأة ويعبّر عن تجربتها الخاصة ورؤيتها للعالم من منظور أنثوي (أنيس، ١٩٧٩، ص ١١٢). غير أنّ هذا التعريف، على بساطته، يثير إشكاليات نقدية تتعلّق بطبيعة هذا الشعر، وهل يُحدَّد بناءً على جنس الكاتب فقط أم وفق خصائص فنية وموضوعية تميّزه عن غيره من النصوص الشعرية.يرى بعض النقاد أن مجرد كون النص مكتوبًا بيد امرأة لا يكفي لاعتباره شعرًا نسويًا، بل ينبغي أن يتضمن وعيًا بالذات الأنثوية، وأن يعكس تجربة خاصة نابعة من واقع المرأة الاجتماعي والثقافي (الغذامي، ١٩٩٤، ص ٨٥). ومن هنا، فإن الشعر النسوي لا يُختزل في هوية الكاتبة، بل في طبيعة الخطاب الذي تنتجه، ومدى تمثيله لخصوصية التجربة النسوية.وفي السياق العربي، يتداخل مفهوم الشعر النسوي مع طبيعة المجتمع التقليدي، حيث واجهت المرأة قيودًا اجتماعية حدّت من مشاركتها في المجال العام، الأمر الذي انعكس على طبيعة إنتاجها الشعري، فغلبت عليه النزعة الوجدانية وتركّز في موضوعات مثل الرثاء والغزل العفيف (ضيف، ١٩٦٠، ص ٢٣٣). ومع ذلك، فإن هذا التحديد لا يقلّل من قيمة هذا الشعر، بل يمنحه طابعًا إنسانيًا صادقًا، كما يظهر في تجربة الخنساء، التي استطاعت أن تعبّر عن مشاعرها بعمقٍ جعلها في مصاف كبار الشعراء.ومن زاوية أخرى، يذهب بعض الباحثين إلى أن الشعر النسوي لا يُحدَّد بموضوعاته فقط، بل بأسلوبه وطرائق التعبير فيه، حيث تتجلّى فيه حساسية خاصة، ولغة تميل إلى الكثافة الشعورية، واستبطان التجربة الذاتية (فضل، ١٩٨٥، ص ١٤١). فالشاعرة لا تنقل الواقع كما هو، بل تعيد تشكيله وفق رؤيتها الخاصة، وهو ما يمنح النص طابعًا مميزًا.كما يمكن النظر إلى الشعر النسوي بوصفه فعلًا ثقافيًا يعكس سعي المرأة لإثبات ذاتها داخل فضاء أدبي هيمن عليه الرجل طويلًا، ومن ثمّ فهو يحمل أبعادًا دلالية تتصل بالهوية والاعتراف الاجتماعي

(الملائكة، ١٩٦٢، ص ٥٧). ومن هذا المنطلق، فإن دراسة الشعر النسوي لا تقتصر على تحليل النصوص، بل تمتد إلى فهم السياق الثقافي والاجتماعي الذي أنتجها.وعليه، يمكن القول إن الشعر النسوي مفهوم مركّب، يجمع بين خصوصية التجربة الذاتية للمرأة، والخصائص الفنية للنص، والسياق الاجتماعي الذي يُنتج فيه. وهو بذلك يُمثّل صوتًا أدبيًا مهمًا يكشف عن جانب مغيّب من تاريخ الأدب العربي، خاصة في مراحله المبكرة كالعصر الجاهلي.

ثانياً : الخصائص الفنية والموضوعية

يتّسم الشعر النسوي في العصر الجاهلي بجملة من الخصائص الفنية والموضوعية التي تُميّزه عن شعر الرجال، وتكشف عن طبيعة التجربة التي عاشتها المرأة داخل مجتمع تحكمه قيم قبلية صارمة. وتنبع هذه الخصائص من خصوصية الموقع الاجتماعي للمرأة، ومن طبيعة الأدوار التي أُنيطت بها، الأمر الذي انعكس بوضوح على بنية النص الشعري ومضامينه.فعلى المستوى الفني، يتّسم الشعر النسوي بصدق العاطفة وحرارة التعبير، إذ تميل الشاعرة إلى التعبير المباشر عن مشاعرها دون تكلّف أو تصنّع، وهو ما يجعل النص أقرب إلى التجربة الحية منه إلى الصياغة البلاغية المصطنعة (ضيف، ١٩٦٠، ص ٢٣٥). وتظهر هذه السمة بوضوح في شعر الخنساء، حيث يتجلّى الحزن الصادق في رثائها لأخيها صخر، فتغدو القصيدة تعبيرًا حيًّا عن الألم الداخلي لا مجرّد بناء لغوي.كما يتميّز الشعر النسوي بنزعة وجدانية واضحة، حيث تتركّز التجربة الشعرية حول الذات ومشاعرها، فيغلب عليه الطابع التأملي والاستبطاني، بخلاف شعر الرجال الذي يميل في كثير من الأحيان إلى الموضوعية المرتبطة بالفخر والحماسة (فضل، ١٩٨٥، ص ١٤٤). وتنعكس هذه النزعة في اللغة المستخدمة، التي تميل إلى البساطة والوضوح، مع حضور صور بلاغية نابعة من البيئة اليومية والتجربة الشخصية، لا من التكلّف الصناعي.ومن الخصائص الفنية أيضًا قِصَر القصائد نسبيًا، إذ تميل الشاعرة إلى التركيز والتكثيف، فتعبّر عن تجربتها في أبيات قليلة مشحونة بالدلالة، بدل الإطالة والتفصيل (الغذامي، ١٩٩٤، ص ٩٢). وهذا يعود إلى طبيعة المواقف التي تُقال فيها هذه الأشعار، والتي غالبًا ما تكون آنية ومرتبطة بحوادث محددة، كالفقد أو الحنين.أما على المستوى الموضوعي، فإن الشعر النسوي في العصر الجاهلي يتّجه نحو أغراض محددة، في مقدمتها الرثاء، الذي يُعدّ المجال الأبرز لتعبير المرأة عن ذاتها. فقد وجدت المرأة في الرثاء مساحة اجتماعية مقبولة للتعبير عن حزنها، مما أتاح لها أن تبدع فيه بصدق وعمق، كما يتجلّى في شعر الخنساء (أنيس، ١٩٧٩، ص ١١٨)إلى جانب الرثاء، يظهر الغزل العفيف بوصفه أحد الأغراض التي عبّرت من خلالها المرأة عن مشاعرها، إلا أنّه ظلّ محكومًا بضوابط اجتماعية تحدّ من صراحته، فيأتي غالبًا في إطار الحنين أو الشكوى أو التلميح (ضيف، ١٩٦٠، ص ٢٣٨). كما نجد بعض مظاهر الحكمة والنصح في شعر النساء، حيث تعبّر الشاعرة عن خبرتها بالحياة، وإن كان ذلك أقل شيوعًا.ومن اللافت أن موضوعات مثل الفخر والهجاء تكاد تكون محدودة في شعر المرأة، نظرًا لارتباطها بالبنية القبلية والصراع الاجتماعي، وهما مجالان كانا من اختصاص الرجال في الغالب (فضل، ١٩٨٥، ص ١٤٧). وهذا يبرز كيف أن طبيعة المجتمع أسهمت في توجيه اهتمامات الشاعرة وتحديد مجالات إبداعها.وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن الخصائص الفنية والموضوعية للشعر النسوي في العصر الجاهلي تعكس تفاعلًا معقّدًا بين ذات الشاعرة والواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه. فهي من جهة تعبّر عن تجربة إنسانية صادقة وعميقة، ومن جهة أخرى تخضع لقيود تحدّد مجالات هذا التعبير. ومن هنا، تكتسب دراسة هذه الخصائص أهمية خاصة، لأنها تكشف عن صوتٍ أدبيٍّ متميّز استطاع أن يعبّر عن ذاته ضمن حدود الممكن في ذلك العصر.

ثالثاً : طبيعة اللغة والعاطفة في شعر المرأة

تتّسم لغة الشعر النسوي في العصر الجاهلي بخصائص مميزة تنبع من طبيعة التجربة الشعورية للمرأة، ومن موقعها الاجتماعي الذي يختلف عن موقع الرجل في كثير من الجوانب. إذ تميل هذه اللغة إلى البساطة والوضوح، مع نزعة إلى التعبير المباشر عن المشاعر، بعيدًا عن التعقيد اللفظي أو التكلف البلاغي الذي قد نجده في بعض نماذج الشعر الرجالي (ضيف، ١٩٦٠، ص ٢٤٠). ويعود ذلك إلى أن الشاعرة غالبًا ما تعبّر عن تجربة ذاتية صادقة، تجعل اللغة وسيلة لنقل الإحساس أكثر من كونها أداة للتزيين الفني.ومن أبرز سمات اللغة في شعر المرأة أنها لغة وجدانية حميمية، تقوم على اختيار ألفاظ قريبة من الحياة اليومية، مما يمنح النص طابعًا إنسانيًا بسيطًا ومؤثرًا في الوقت نفسه (فضل، ١٩٨٥، ص ١٥٠). وتظهر هذه الخاصية بوضوح في شعر الخنساء، حيث تتكرر الألفاظ المرتبطة بالحزن والبكاء واللوعة، في انسجام تام مع الحالة النفسية التي تعيشها الشاعرة.كما تميل اللغة في الشعر النسوي إلى استخدام الصور البلاغية البسيطة التي تستمد عناصرها من البيئة المحيطة، مثل الطبيعة والحياة اليومية والعلاقات الأسرية، بدلًا من الصور المركّبة أو المتكلّفة. وهذا يعكس ارتباط الشاعرة بواقعها المباشر، وقدرتها على تحويل هذا الواقع إلى تعبير شعري يحمل دلالات عاطفية عميقة (الغذامي، ١٩٩٤، ص ٩٥).أما من حيث العاطفة، فإنها تُعدّ العنصر الأبرز في الشعر النسوي، حيث تتّسم بصدقها وحرارتها وعمقها، إذ لا تنفصل التجربة الشعرية عن التجربة الشعورية التي تعيشها الشاعرة. فالعاطفة في هذا الشعر ليست مجرد عنصر جمالي، بل هي جوهر النص ومحوره الأساسي (أنيس، ١٩٧٩، ص ١٢١). لذلك نجد أن القصيدة النسوية غالبًا

ما تنبع من موقف وجداني حقيقي، مثل الفقد أو الحنين أو الألم، مما يمنحها طابعًا صادقًا ومؤثرًا في المتلقي.وتتجلّى هذه العاطفة بشكل خاص في الرثاء، حيث تعبر الشاعرة عن حزنها بأسلوب مباشر ومكثف، يجمع بين الانفعال الداخلي والتعبير الخارجي، كما في مراثي الخنساء لأخيها صخر، التي تُعد نموذجًا واضحًا لتجسيد الألم الإنساني في أبهى صوره الشعرية. فالعاطفة هنا لا تأتي بوصفها موضوعًا فقط، بل تتحول إلى بنية نصية تشكّل القصيدة بأكملها.ومن جهة أخرى، تتميز العاطفة في الشعر النسوي بأنها عاطفة متدفقة وغير متكلفة، لا تخضع غالبًا لحسابات فنية معقدة بقدر ما تنبع من صدق التجربة. وهذا ما يمنح النص قوة تأثيره، إذ يصل إلى المتلقي عبر الإحساس المباشر دون وسائط فنية معقدة (فضل، ١٩٨٥، ص ١٥٣). كما أن هذا التدفق العاطفي قد يقترن أحيانًا بتكرار بعض الألفاظ أو المعاني، وهو ما يُعدّ انعكاسًا لحالة الانفعال التي تعيشها الشاعرة.وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن طبيعة اللغة والعاطفة في شعر المرأة في العصر الجاهلي تقوم على التوازن بين البساطة اللغوية والعمق الشعوري، حيث تتجسد التجربة الذاتية في خطاب شعري صادق ومباشر. فالشاعرة لا تسعى إلى التعقيد أو التزيين بقدر ما تسعى إلى التعبير عن إحساسها الداخلي، مما يجعل شعرها وثيقة إنسانية تعبّر عن تجربة المرأة في مجتمعها، وتعكس في الوقت نفسه قدرة عالية على توظيف اللغة في خدمة العاطفة والمعنى.

المبحث الثاني الأغراض الشعرية عند المرأة

اولاً : الرثاء (بوصفه الغرض الأبرز)

يُعدّ الرثاء من أبرز الأغراض الشعرية التي عبّرت من خلالها المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي عن تجربتها الوجدانية، بل يمكن القول إنه الغرض الأكثر حضورًا وتميزًا في إنتاجها الشعري، نظرًا لملاءمته لطبيعة مشاعرها المرتبطة بالحزن والفقد والانفعال العاطفي العميق. فقد وجدَت المرأة في الرثاء مساحة اجتماعية مقبولة للتعبير عن أحزانها، بعيدًا عن القيود التي كانت تحدّ من حضورها في أغراض أخرى مثل الفخر أو الهجاء (ضيف، ١٩٦٠، ص ٢٣٨)ويتميّز الرثاء النسوي بصدق العاطفة وحرارة الانفعال، إذ لا يقوم على التكلف أو الصنعة بقدر ما يعكس تجربة إنسانية حقيقية عاشتها الشاعرة، خاصة في فقدان الأقارب من الرجال، كالآباء أو الإخوة أو الأبناء. ويظهر هذا بوضوح في تجربة الخنساء، التي شكّل رثاؤها لأخيها صخر نموذجًا بارزًا للرثاء النسوي في العصر الجاهلي، حيث امتزج الحزن الشخصي بالتعبير الفني، فكانت قصائدها مرآة صادقة لألمها الداخلي (أنيس، ١٩٧٩، ص ١١٨)ومن الخصائص الموضوعية للرثاء النسوي أنه يركّز على استحضار صفات المرثي ومناقبه، مع إبراز الأثر النفسي لفقده، حيث تتكرر الصور التي تعبّر عن الفقد، مثل البكاء، والحنين، واستذكار المواقف المشتركة. كما تميل الشاعرة إلى تمجيد الميت وإظهار فضائله، ليس فقط بدافع الوفاء، بل أيضًا لتخفيف وطأة الحزن عبر استحضار صورة إيجابية عنه (نصار، ١٩٨٠، ص ١٤٥).أما من الناحية الفنية، فإن الرثاء عند المرأة يتّسم بالبساطة في التعبير، مع اعتماد لغة مباشرة خالية من التعقيد، وهو ما يعكس طبيعة الانفعال اللحظي الذي يرافق تجربة الفقد. وتُستعمل في هذا السياق ألفاظ ذات طابع وجداني واضح، مثل ألفاظ الحزن والأسى واللوعة، مما يعزز من قوة التأثير العاطفي للنص (الملائكة، ١٩٦٢، ص ٦٠)كما يتميّز الرثاء النسوي بتكرار بعض التراكيب والصور، وهو ما يُعد انعكاسًا لشدة الانفعال لا ضعفًا في البناء الفني، إذ يعكس هذا التكرار حالة نفسية مضطربة تسعى من خلالها الشاعرة إلى تفريغ شحناتها العاطفية (الغذامي، ١٩٩٤، ص ٩٢). ومن هنا، فإن الرثاء لا يُعدّ مجرد غرض شعري، بل هو وسيلة للتنفيس النفسي والتعبير عن الألم الداخلي.ويلاحظ أيضًا أن الرثاء عند المرأة غالبًا ما يكون مرتبطًا بالجانب الذاتي أكثر من كونه خطابًا عامًا موجهًا للقبيلة، على عكس بعض أنماط الرثاء عند الرجال التي قد تتخذ طابعًا جماعيًا أو قبليًا. فالشاعرة تركز على تجربتها الشخصية مع الفقد، مما يمنح النص طابعًا حميميًا خاصًا يميّزه عن غيره من الأغراض الشعرية (فضل، ١٩٨٥، ص ١٥٠).وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن الرثاء يمثّل الغرض الأبرز في الشعر النسوي في العصر الجاهلي، ليس فقط من حيث الكم، بل من حيث الجودة والتأثير، إذ استطاعت الشاعرة من خلاله أن تعبّر عن أعماقها النفسية، وأن توظّف اللغة الشعرية في نقل تجربة إنسانية صادقة، جعلت من هذا اللون الشعري أحد أهم مظاهر حضور المرأة في المشهد الأدبي القديم.

ثانياً : الغزل

يُعدّ الغزل من الأغراض الشعرية التي ظهرت في شعر المرأة في العصر الجاهلي، وإن كان حضوره أقل من الرثاء من حيث الكثافة والوضوح، إلا أنه يمثل جانبًا مهمًا من التعبير عن المشاعر العاطفية والوجدانية للمرأة. وقد ارتبط الغزل النسوي بطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمع الجاهلي، حيث خضع لقيود الأعراف والتقاليد التي حدّت من صراحة التعبير، فغلب عليه الطابع العفيف والإيحاء غير المباشر بدل التصريح الواضح (حسين، ١٩٢٦، ص ٨٤)ويتّسم الغزل عند المرأة في العصر الجاهلي بأنه تعبير عن مشاعر الحب والحنين والاشتياق، لكنه يأتي في إطار محافظ يراعي القيم الاجتماعية السائدة، فلا يتجاوز حدود العفّة أو يخرج إلى الجرأة المفرطة. ومن هنا، نجد أن الشاعرة تميل إلى استخدام

التلميح بدل التصريح، والإيحاء بدل الكشف المباشر، مما يمنح النص طابعًا فنيًا قائمًا على الرقة والاحتشام (أمين، ١٩٥٢، ص ٦٧)كما يتميّز الغزل النسوي بالتركيز على التجربة الذاتية، حيث تعبّر الشاعرة عن مشاعرها الشخصية تجاه المحبوب، سواء كان قريبًا أو زوجًا أو شخصًا من محيطها الاجتماعي، وغالبًا ما يكون هذا التعبير مرتبطًا بمواقف وجدانية خاصة، مثل الفراق أو البعد أو الشوق. ويظهر في هذا الغزل نوع من الصدق العاطفي الذي يضفي على النص طابعًا إنسانيًا مؤثرًا (ضيف، ١٩٧١، ص ١١٢).ومن الناحية الفنية، يعتمد الغزل النسوي على لغة بسيطة وواضحة، تتسم بالانسيابية والبعد عن التعقيد، مع توظيف صور بلاغية مأخوذة من البيئة المحيطة، مثل تشبيهات مستمدة من الطبيعة أو الحياة اليومية. وتُسهم هذه اللغة في تقريب التجربة الشعورية إلى المتلقي، وجعلها أكثر تأثيرًا وواقعية (ضيف، ١٩٧١، ص ١١٥)كما أن الغزل في الشعر النسوي لا ينفصل عن البعد الاجتماعي، إذ يعكس في كثير من الأحيان القيود التي فرضها المجتمع على علاقة المرأة بالرجل، مما يجعل هذا الغرض وسيلة للتعبير غير المباشر عن مشاعر قد لا يمكن التصريح بها علنًا. ومن هنا، يمكن النظر إلى الغزل النسوي بوصفه خطابًا شعريًا يجمع بين العاطفة الفردية والضوابط الاجتماعية (عتيق، ١٩٨٥، ص ١٠٢)ويلاحظ أن الغزل النسوي، وإن كان أقل حضورًا من الرثاء، إلا أنه يكشف عن جانب مهم من شخصية المرأة في العصر الجاهلي، حيث يظهر قدرتها على التعبير عن مشاعر الحب بأسلوب فني راقٍ يجمع بين الصدق والاحتشام، مما يمنح هذا الغرض قيمة أدبية وإنسانية خاصة داخل منظومة الشعر الجاهلي.

ثالثاً : الحكمة والنصح

يُعدّ غرض الحكمة والنصح من الأغراض التي ظهرت في شعر المرأة في العصر الجاهلي، وإن كان حضوره أقل مقارنة بالرثاء والغزل، إلا أنه يعكس جانبًا مهمًا من تجربة المرأة ومعرفتها بالحياة، وما اكتسبته من خبرة نتيجة التفاعل مع محيطها الاجتماعي والأسري. فقد عبّرت المرأة الشاعرة من خلال هذا الغرض عن رؤى تأملية تتعلق بالحياة والموت، والقيم الأخلاقية، والعلاقات الإنسانية، مما يجعل شعرها ليس مجرد تعبير عاطفي، بل أيضًا حاملًا لبعد فكري وتأملي (الزيات، ١٩٥١، ص ٢٠٣)وتتميّز الحكمة في شعر المرأة الجاهلية بأنها تأتي غالبًا ضمن سياق وجداني، أي أنها لا تُطرح بوصفها خطابًا فلسفيًا مجردًا، بل تكون متداخلة مع تجربة شخصية أو موقف حياتي محدد. فالشاعرة حين تنصح أو تحكم، فإنها تنطلق من تجربة معيشة أو موقف مؤثر ترك أثرًا في نفسها، مما يمنح الحكمة طابعًا عمليًا مرتبطًا بالواقع (ضيف، ١٩٧١، ص ١٣٠)ومن الخصائص البارزة في هذا الغرض استخدام لغة موجزة ومكثفة، تعتمد على التعبير المباشر عن المعنى دون إطالة، وهو ما يتناسب مع طبيعة الحكمة التي تقوم على الإيجاز والدقة. كما تميل الشاعرة إلى استخدام أساليب تقريرية واضحة، تحمل في طياتها توجيهًا أو إرشادًا، سواء كان ذلك في صورة نصيحة أو عبرة أو موعظة (يونس، ١٩٦٨، ص ٨٩)وتعكس الحكمة في شعر المرأة أيضًا نظرتها إلى الحياة، حيث تتناول موضوعات مثل تقلبات الزمن، وفناء الإنسان، وأهمية الصبر والتحمّل في مواجهة المصاعب. وهذه الموضوعات تدل على وعي نسوي بالواقع، يتجاوز حدود التجربة العاطفية إلى إدراك أعمق لطبيعة الحياة ومتغيراتها (الطائي، ٢٠٠٢، ص ٥٧)كما يظهر في هذا الغرض نوع من التوازن بين العاطفة والعقل، إذ لا تطغى العاطفة على النص بشكل كامل، بل تُوظَّف في خدمة المعنى الحكمي، مما يجعل النص يجمع بين التأثير الوجداني والبعد الفكري. وهذا التداخل يمنح الحكمة في شعر المرأة طابعًا خاصًا، يميزها عن الحكمة في شعر بعض الرجال التي قد تميل إلى الطابع الفلسفي أو التجريدي (عباس، ١٩٨٣، ص ١٢١)ومن الجدير بالذكر أن حضور الحكمة في شعر المرأة، وإن كان محدودًا من حيث الكم، إلا أنه يعكس قدرة الشاعرة على استيعاب التجربة الإنسانية وتقديم خلاصة تأملية لها في شكل شعري مكثف. وهذا ما يجعل هذا الغرض جزءًا مهمًا من فهم الصورة الكلية للشعر النسوي في العصر الجاهلي، حيث لا يقتصر على التعبير العاطفي فحسب، بل يمتد ليشمل أبعادًا فكرية تعكس نضجًا في الرؤية وعمقًا في الإدراك.

رابعاً : ملامح الصدق العاطفي والتجربة الذاتية

يُعدّ الصدق العاطفي والتجربة الذاتية من أبرز السمات التي تميّز الشعر النسوي في العصر الجاهلي، إذ تنبع القصيدة عند المرأة غالبًا من تجربة حقيقية عاشتها الشاعرة، سواء كانت تجربة حزن أو فرح أو شوق أو فقد، مما يمنح النص طابعًا إنسانيًا صادقًا ينعكس بوضوح في ألفاظه وصوره وإيقاعه (إحسان عباس، ١٩٨٣، ص ١٣٥)ويتجلّى الصدق العاطفي في كون الشاعرة لا تلجأ إلى التصنّع أو التكلّف في التعبير، بل تنقل مشاعرها كما هي، دون حواجز فنية معقدة أو محاولات للتجميل المبالغ فيه. وهذا ما يجعل القارئ يشعر بأن النص ليس مجرد بناء لغوي، بل هو انعكاس مباشر لحالة نفسية داخلية، تتجسد في كلمات بسيطة لكنها مشحونة بالدلالة (حسين، ١٩٢٦، ص ٩٢)وترتبط التجربة الذاتية في الشعر النسوي ارتباطًا وثيقًا بالواقع المعيش للشاعرة، حيث تنبع القصيدة من موقف محدد أو حدث مؤثر، كفقد قريب أو تجربة حب أو معاناة إنسانية، مما يجعل النص الشعري وثيقة تعكس جانبًا من حياة الشاعرة الخاصة. ويظهر هذا بوضوح في شعر الخنساء، حيث تمثل قصائدها في الرثاء تجربة ذاتية عميقة تعكس ألم الفقد الحقيقي، لا مجرد تقليد فني (ضيف، ١٩٧١، ص ١١٨).ومن ملامح الصدق العاطفي أيضًا التكرار الوجداني

لبعض الصور أو الألفاظ، حيث تلجأ الشاعرة إلى إعادة بعض العبارات أو المعاني للتعبير عن شدة الانفعال وتراكم المشاعر، وهو ما يُعدّ في هذا السياق تعبيرًا عن حالة نفسية متدفقة، أكثر منه ضعفًا في البناء الفني (يونس، ١٩٦٨، ص ٩٤)كما تتسم التجربة الذاتية في الشعر النسوي بكونها تجربة داخلية متأملة، حيث تعكس الشاعرة رؤيتها الخاصة للعالم من خلال مشاعرها، فتتحول القصيدة إلى مساحة للتعبير عن الذات، وليس فقط عن موضوع خارجي. وهذا البعد الذاتي يمنح النص عمقًا إضافيًا، إذ يربط بين التجربة الفردية والمعنى الإنساني العام (أمين، ١٩٥٢، ص ٧٣)ويُلاحظ أن هذا الصدق العاطفي يجعل الشعر النسوي أكثر تأثيرًا في المتلقي، لأنه يقوم على نقل إحساس حقيقي غير مصطنع، مما يخلق نوعًا من التفاعل الوجداني بين النص والقارئ. فالقارئ لا يتلقى المعنى فقط، بل يشارك في الإحساس ذاته الذي عاشته الشاعرة، وهو ما يمنح هذا الشعر قيمة فنية وإنسانية متميزة (الطائي، ٢٠٠٢، ص ٦١).وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن ملامح الصدق العاطفي والتجربة الذاتية تمثل جوهر الشعر النسوي في العصر الجاهلي، حيث تشكّل هذه السمات الأساس الذي يقوم عليه البناء الشعري، وتمنح النص طابعه الخاص الذي يجمع بين العفوية والعمق، وبين البساطة والتأثير، مما يجعل هذا الشعر شاهدًا حيًا على تجربة المرأة الإنسانية في تلك المرحلة التاريخية.

الفصل الثاني تغييب المرأة الشاعرة وأسبابه

على الرغم من حضور المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي، إلا أن هذا الحضور ظلّ محدودًا ولم يحظَ بالانتشار والتوثيق الكافي، مما أدى إلى تغييب جانب كبير من إسهاماتها الأدبية. ويعود هذا التغييب إلى مجموعة من الأسباب المتداخلة، في مقدمتها الطبيعة القبلية الذكورية التي كانت تهيمن على المجتمع الجاهلي، حيث اقتصر الدور الأدبي العام في الغالب على الرجال، في حين حُصرت مشاركة المرأة في نطاق ضيق من التعبير.كما أسهمت العادات والتقاليد الاجتماعية في الحد من حرية المرأة في الظهور والتعبير العلني، مما قلّل من فرص انتشار شعرها وتداوله. إضافة إلى ذلك، فإن اعتماد الشعر الجاهلي على الرواية الشفوية دون تدوين منظم أدى إلى ضياع كثير من النصوص، خاصة تلك التي قيلت من قبل النساء، إذ لم تُنقل بنفس العناية التي حظي بها شعر الرجال.ومن جهة أخرى، لعب انحياز الرواة والنقاد القدماء دورًا في تركيز الاهتمام على الشعر الرجالي، وإهمال جانب كبير من الشعر النسوي، الأمر الذي ساهم في بقاء حضور المرأة الشاعرة في إطار محدود مقارنة بإنتاج الرجل.

المبحث الأول العوامل الاجتماعية والثقافية

اولاً : البنية القبلية الذكورية

تُعدّ البنية القبلية الذكورية من أبرز العوامل التي أسهمت في تغييب المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي، إذ كان المجتمع العربي آنذاك قائمًا على نظام قبلي تهيمن عليه سلطة الرجل، سواء في المجال الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي. فقد ارتبطت القبيلة بوصفها وحدة تنظيمية أساسية بقيم الفروسية والقوة والنصرة، وهي قيم كان يُنظر إليها بوصفها من اختصاص الرجال، مما جعل حضور المرأة في المجال العام محدودًا (ضيف، ١٩٦٠، ص ٤٥)وقد انعكست هذه البنية على المجال الأدبي، حيث كان الشعر يُعدّ من أبرز أدوات التعبير عن هوية القبيلة والدفاع عنها، لذلك ارتبط غالبًا بمواقف الفخر والحماسة والهجاء، وهي أغراض كان الرجال يتصدرونها بحكم طبيعة الأدوار الاجتماعية المنوطة بهم (أحمد أمين، ١٩٥٢، ص ٦١). في المقابل، لم تكن المرأة تشارك بشكل واسع في هذه المجالات، مما قلّل من ظهور صوتها الشعري في الفضاء العام.كما أن الأعراف القبلية كانت تحدّ من حرية المرأة في الظهور العلني أو المشاركة في المحافل الأدبية الكبرى، الأمر الذي أدى إلى حصر إبداعها في نطاق خاص أو محدود. وهذا ما جعل إنتاجها الشعري لا يحظى بالانتشار الواسع، مقارنة بشعر الرجال الذي كان يُتداول في الأسواق والمجالس العامة مثل سوق عكاظ (نصار، ١٩٨٠، ص ١٠٢).وتُظهر هذه البنية أيضًا أن المجتمع كان يمنح الرجل موقع الصدارة في تمثيل القبيلة والتعبير عنها، سواء في الحرب أو السلم، وهو ما انعكس على تمثيل الشعر بوصفه خطابًا ذكوريًا في الغالب. ومن ثم، فإن صوت المرأة لم يكن غائبًا تمامًا، لكنه ظلّ محصورًا في أطر محددة، مثل التعبير عن المشاعر الخاصة كالرثاء، دون أن يمتد إلى الخطاب القبلي العام (عتيق، ١٩٨٥، ص ٨٨)وفي ضوء ذلك، يتضح أن البنية القبلية الذكورية لم تكن مجرد إطار اجتماعي، بل كانت منظومة متكاملة أثّرت في توزيع الأدوار داخل المجتمع، وأسهمت بشكل مباشر في تقييد حضور المرأة الشاعرة، سواء من حيث المشاركة أو الانتشار، مما أدى إلى بقاء هذا الحضور في حدود ضيقة مقارنة بالحضور الشعري للرجال.

ثانياً : العادات والتقاليد وتأثيرها على حرية التعبير

لعبت العادات والتقاليد في العصر الجاهلي دورًا أساسيًا في تقييد حرية المرأة الشاعرة، إذ كان المجتمع يخضع لمنظومة عرفية صارمة تحدد سلوك الأفراد وتوزّع الأدوار بينهم. وقد كانت هذه المنظومة تميل إلى منح الرجل مساحة أوسع في التعبير والمشاركة العلنية، في حين بقيت المرأة محكومة بقيود اجتماعية تقلل من ظهورها في المجال العام (علي، ١٩٩٣، ص ٢١٠)ومن أبرز هذه القيود ما يتعلق بطبيعة المجالس والأسواق التي كانت

تمثل فضاءات رئيسة لإلقاء الشعر وتداوله، حيث كان حضور المرأة فيها محدودًا أو محاطًا بالتحفظ، مما حال دون مشاركتها الفاعلة في نشر إنتاجها الشعري، على الرغم من امتلاك بعض النساء قدرات أدبية واضحة (الفاخوري، ١٩٨٦، ص ١٣٤)كما أن الأعراف القبلية كانت تشدد على مفهوم الحشمة والخصوصية بالنسبة للمرأة، وهو ما جعل التعبير العلني عن المشاعر أو الدخول في المنافسات الشعرية أمرًا غير مألوف في كثير من الحالات. هذا الأمر أدى إلى حصر مساهمة المرأة الشعرية في موضوعات ذات طابع خاص مثل الرثاء أو التعبير عن التجارب الذاتية (البستاني، ١٩٧٩، ص ٩٧)إضافة إلى ذلك، فإن المجتمع الجاهلي كان يقدّم الرجل بوصفه الممثل الرسمي للقبيلة في المحافل العامة، سواء في الدفاع عنها أو التعبير عن مفاخرها، وهو ما انعكس على المجال الشعري أيضًا، حيث أصبح الصوت الشعري الذكوري هو الأكثر حضورًا وتأثيرًا، بينما ظلّ صوت المرأة أقل تداولًا وأضيق انتشارًا (ضيف، ١٩٦٠، ص ٨٢).وعليه، فإن العادات والتقاليد لم تكن مجرد ممارسات اجتماعية، بل كانت عاملًا مؤثرًا في تشكيل حدود حرية التعبير لدى المرأة الشاعرة، وأسهمت في تقليص حضورها في الفضاء الأدبي العام، رغم وجود نماذج نسوية بارزة استطاعت تجاوز بعض هذه القيود.

ثالثاً : دور المرأة المحدود في المجال العام

اتسم دور المرأة في العصر الجاهلي بالانحصار النسبي ضمن المجال الخاص، في حين كان المجال العام — بما فيه من نشاط سياسي واجتماعي وأدبي — يغلب عليه حضور الرجل. وقد انعكس هذا التقسيم الوظيفي على طبيعة مشاركة المرأة في الحياة الثقافية، ومنها الشعر، إذ لم تكن المرأة تُمنح مساحة واسعة للظهور العلني أو المشاركة في المحافل العامة التي يُتداول فيها الشعر وينتشر (علي، ١٩٩٣، ص ٢٤٥)وكانت الأسواق الأدبية مثل سوق عكاظ تمثل منصات رئيسة لعرض الشعر والتنافس بين الشعراء، إلا أن مشاركة المرأة في مثل هذه الفعاليات كانت محدودة للغاية، بسبب القيود الاجتماعية المرتبطة بالتقاليد القبلية، إضافة إلى طبيعة المجتمع التي كانت تميل إلى إسناد الأدوار العامة للرجل بوصفه الأكثر ارتباطًا بشؤون الحرب والتمثيل القبلي (ضيف، ١٩٦٠، ص ٩٠)كما أن المرأة في المجتمع الجاهلي كانت تُربّى على أداء أدوار مرتبطة بالأسرة والعلاقات الداخلية داخل القبيلة، مثل الرعاية والتنشئة، وهو ما جعل حضورها في الشأن العام أقل وضوحًا، وبالتالي قلّ احتكاكها المباشر بالفضاءات التي تُصنع فيها الشهرة الشعرية وتُبنى فيها السمعة الأدبية (الفاخوري، ١٩٨٦، ص ١٤٢)ومن جهة أخرى، فإن غياب المرأة عن المجال العام بشكل واسع أدى إلى ضعف تداول شعرها وانتشاره، إذ يعتمد انتشار الشعر في تلك المرحلة على التلقي الشفوي والمشاركة في المجالس والأسواق، وهي أماكن لم تكن المرأة تحظى فيها بالحضور المستمر، مما ساهم في محدودية نقل إنتاجها الأدبي إلى الأجيال اللاحقة (البستاني، ١٩٧٩، ص ١٠٥)وبذلك، يتضح أن محدودية دور المرأة في المجال العام لم تكن مجرد نتيجة فردية، بل كانت انعكاسًا لبنية اجتماعية وثقافية كاملة قسمت الأدوار بين الجنسين، وأسهمت في تقليص حضور المرأة الشاعرة، ليس من حيث الإبداع فحسب، بل من حيث الانتشار والتأثير في المشهد الأدبي الجاهلي.

المبحث الثاني العوامل الفنية والنقدية

اولاً: ضعف التدوين وضياع النصوص

يُعدّ ضعف التدوين من أبرز العوامل التي أسهمت في تغييب الكثير من النتاج الأدبي في العصر الجاهلي، ولا سيما شعر المرأة، إذ كان الشعر يعتمد أساسًا على الرواية الشفوية وليس على التدوين المكتوب. وقد أدى هذا الاعتماد إلى عرضة النصوص للضياع أو التحريف أو النسيان مع مرور الزمن، خاصة في ظل عدم وجود وسائل حفظ مكتوبة منظمة في تلك المرحلة (ضيف، ١٩٦٠، ص ١١٢).وكان الرواة في العصور اللاحقة هم المصدر الرئيس لنقل الشعر الجاهلي، إلا أن اهتمامهم انصبّ غالبًا على شعراء الرجال الذين ارتبطت أسماؤهم بالأحداث الكبرى والبطولات القبلية، مما جعل شعر المرأة أقل تداولًا وأضعف حضورًا في المدونات التي وصلت إلينا (علي، ١٩٩٣، ص ٣١٨).كما أن عملية الجمع والتدوين التي بدأت في صدر الإسلام وما بعده لم تكن شاملة لجميع النصوص، بل خضعت لمعايير الاختيار والانتقاء، حيث ركّز المدونون على ما اعتبروه أكثر أهمية من الناحية اللغوية أو التاريخية، وهو ما أدى إلى إهمال عدد من النصوص النسوية التي لم تُنقل بنفس العناية (الفاخوري، ١٩٨٦، ص ١٦٥)ومن جهة أخرى، فإن طبيعة المجتمع الشفوي في العصر الجاهلي جعلت حفظ الشعر يعتمد على الذاكرة والرواية المتداولة، وهي وسائل عرضة للنسيان أو التغيير، خصوصًا في حالة الشعر الذي لم يكن له رواة كثر أو لم يرتبط بأحداث مشهورة، وهو ما ينطبق على كثير من شعر النساء (البستاني، ١٩٧٩، ص ١٢١)وبناءً على ذلك، فإن ضعف التدوين لم يكن مجرد عامل تقني، بل كان سببًا رئيسًا في ضياع جزء كبير من التراث الشعري النسوي، مما أسهم في تقليص حجم ما وصلنا من شعر المرأة الشاعرة، وأثر بشكل مباشر في تشكيل الصورة غير الكاملة عن حضورها في العصر الجاهلي.

ثانياً: انحياز الرواة والنقاد لشعر الرجال

يُعدّ انحياز الرواة والنقاد القدماء لشعر الرجال من العوامل المهمة التي أسهمت في تغييب حضور المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي، إذ كان نقل الشعر وتدوينه يخضع إلى حد كبير لاختيارات الرواة واهتماماتهم، والتي مالت في الغالب إلى التركيز على شعراء الرجال دون غيرهم. وقد انعكس هذا الانحياز في طبيعة المدونات الأدبية التي وصلت إلينا، حيث حظي شعر الرجال بحجم أكبر من التوثيق والشرح مقارنة بشعر النساء (ضيف، ١٩٦٠، ص ١١٨)وكان الرواة يهتمون غالبًا بالشعر المرتبط بالأحداث القبلية الكبرى، مثل الحروب والفخر والهجاء، وهي أغراض ارتبطت في الغالب بالرجال، مما جعل شعرهم أكثر حضورًا في الذاكرة الجمعية والرواية الأدبية، في حين لم يحظَ شعر المرأة، الذي يميل إلى التعبير الوجداني الخاص، بنفس القدر من الاهتمام والتداول (علي، ١٩٩٣، ص ٣٣٢)كما أن النقاد الأوائل عند تناولهم للشعر الجاهلي كانوا يميلون إلى إبراز النماذج التي تمثل الفحولة الشعرية والقدرة على التعبير القوي، وهي صفات ربطت تقليديًا بالشعراء الرجال، الأمر الذي أدى إلى تهميش الشعر النسوي أو التعامل معه بوصفه أقل قيمة أو محدود الأثر مقارنة بالشعر الذكوري (الفاخوري، ١٩٨٦، ص ١٧٢)إضافة إلى ذلك، فإن عملية الاختيار التي مارسها الرواة والنقاد لم تكن محايدة تمامًا، بل تأثرت بالتصورات الثقافية السائدة التي كانت تميل إلى إعطاء الأفضلية للصوت الذكوري في تمثيل القبيلة وتاريخها، مما ساهم في تضييق مساحة حضور المرأة الشاعرة في المصادر الأدبية (البستاني، ١٩٧٩، ص ١٣٤).وعليه، فإن انحياز الرواة والنقاد لم يكن مجرد توجه فردي، بل كان انعكاسًا لثقافة عامة سائدة في ذلك العصر، أسهمت في إعادة إنتاج صورة غير متوازنة عن الشعر الجاهلي، حيث برز حضور الرجال بشكل واضح، في مقابل بقاء إسهامات المرأة الشاعرة في نطاق محدود وأقل توثيقًا وانتشارًا.

ثالثاً: إشكالية نقل الشعر النسوي وتوثيقه

تُعدّ إشكالية نقل الشعر النسوي وتوثيقه من أبرز التحديات التي أدت إلى محدودية ما وصل إلينا من شعر المرأة في العصر الجاهلي، إذ كان الاعتماد في تلك المرحلة على الرواية الشفوية بوصفها الوسيلة الأساسية لحفظ الشعر وتداوله، دون وجود نظام تدوين مكتوب منظم، مما جعل النصوص عرضة للنسيان أو التغيير أو الضياع عبر الزمن (حسين، ١٩٢٦، ص ٥٤)وقد أسهم ضعف شبكة الرواة المهتمين بالشعر النسوي في تقليل فرص نقله وتوثيقه، إذ كان الرواة يركزون على الشعر المرتبط بالقبائل الكبرى والأحداث التاريخية البارزة، وهو ما جعل شعر الرجال يحظى بنصيب أوفر من الحفظ والتداول مقارنة بشعر النساء (عباس، ١٩٧٨، ص ٢٠٣)كما أن عملية جمع الشعر في العصور اللاحقة، خاصة في كتب الأدب والمختارات، لم تكن شاملة، بل قامت على الانتقاء وفق معايير فنية ولغوية وثقافية، الأمر الذي أدى إلى إغفال عدد من النصوص النسوية التي لم تحظَ بالشهرة الكافية أو التداول الواسع بين الرواة (الرافعي، ١٩٣٤، ص ١١٨).ومن ناحية أخرى، فإن طبيعة الرواية الشفوية نفسها أدت إلى تعدد الصيغ واختلاف الروايات للنص الواحد، مما يثير إشكالات في التوثيق الدقيق ونسبة الشعر إلى قائله الحقيقي، خاصة في حالة الشاعرات اللواتي لم يكن لهن حضور قوي في دوائر الرواية الأدبية (عبد الرحمن، ١٩٨٥، ص ٧٦)وعليه، فإن إشكالية نقل الشعر النسوي وتوثيقه تعود إلى تداخل عدة عوامل، أبرزها الاعتماد على الرواية الشفوية، وضعف التدوين، وانتقائية الرواة، مما أسهم في ضياع جانب مهم من التراث الشعري النسوي، وأدى إلى عدم اكتمال الصورة التاريخية لحضور المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي.

المبحث الثالث جدلية الحضور والتغييب (رؤية تحليلية)

اولاً: مقارنة بين إنتاج الرجل والمرأة

عند دراسة الإنتاج الشعري في العصر الجاهلي، تبرز ملاحظة أساسية تتمثل في الفارق الكمي والكيفي بين إنتاج الرجل وإنتاج المرأة، حيث كان الشعر عند الرجال أكثر حضورًا وانتشارًا وتنوعًا، في حين ظل إنتاج المرأة محدودًا من حيث الكم، لكنه لم يخلُ من القيمة الفنية والتعبيرية (ضيف، ١٩٦٠، ص ١٣٥)فمن حيث الكم، يُلاحظ أن شعر الرجال قد وصل إلينا بغزارة نسبية عبر المصادر والمختارات الشعرية، وذلك بسبب كثرة الرواة الذين نقلوه واهتمام النقاد بتوثيقه، في حين لم يصل من شعر المرأة إلا القليل المتناثر، وغالبًا ما ارتبط بأسماء محددة لشاعرات بارزات مثل الخنساء، التي عُرفت برثائها القوي لأخويها، مما جعل حضورها استثناءً أكثر منه قاعدة (علي، ١٩٩٣، ص ٣٦٥)أما من حيث التنوع الموضوعي، فقد تميز شعر الرجال بتعدد أغراضه، مثل الفخر، والهجاء، والحماسة، والغزل، والوصف، وهي أغراض ارتبطت بطبيعة الحياة القبلية والصراعات القبلية، مما أتاح للشاعر الرجل مساحة واسعة للتعبير عن مختلف جوانب التجربة الإنسانية والاجتماعية (الفاخوري، ١٩٨٦، ص ١٩٠). في المقابل، انحصر شعر المرأة غالبًا في أغراض محددة مثل الرثاء والتعبير عن المشاعر الذاتية، مع وجود بعض النماذج في الغزل والحكمة، إلا أنها لم تكن بنفس الاتساع الذي نجده في شعر الرجالومن حيث الأسلوب، اتسم شعر الرجال غالبًا بالجزالة والقوة والارتباط بالخطاب العام الذي يعبر عن القبيلة ومكانتها، بينما اتسم شعر المرأة بصدق العاطفة وعمق التجربة الوجدانية، حيث يميل إلى التعبير عن المشاعر الداخلية بشكل مباشر، مما يمنحه طابعًا إنسانيًا خاصًا (البستاني، ١٩٧٩، ص ١٥٥)كما أن اختلاف طبيعة الأدوار الاجتماعية بين الرجل والمرأة انعكس بشكل واضح على إنتاجهما الشعري، إذ ارتبط شعر الرجل بالفضاء العام ومجالات الصراع والتفاخر، في حين ظل شعر المرأة أقرب إلى الفضاء الخاص

والتجارب الشخصية، وهو ما ساهم في اختلاف حجم الانتشار والتوثيق بين الطرفين (عباس، ١٩٧٨، ص ٢٢٠)وعليه، فإن المقارنة بين إنتاج الرجل والمرأة لا تعكس بالضرورة تفاوتًا في القدرة الإبداعية بقدر ما تعكس اختلافًا في الظروف الاجتماعية والثقافية ودرجة الإتاحة في التعبير والنشر، وهو ما أدى إلى بروز شعر الرجل بشكل أكبر في المصادر، مقابل حضور محدود نسبيًا لشعر المرأة، رغم ما يحمله من قيمة فنية وإنسانية واضحة.

ثانياً: تحليل أسباب تفوق حضور الرثاء النسوي

يُعدّ الرثاء من أبرز الأغراض التي تفوّقت فيها المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي، حيث شكّل المجال الأكثر حضورًا في إنتاجها الشعري مقارنة بغيره من الأغراض. ويعود هذا التفوق إلى مجموعة من الأسباب الاجتماعية والنفسية والثقافية التي جعلت الرثاء يتناسب مع طبيعة تجربة المرأة وموقعها داخل المجتمع القبلي (ضيف، ١٩٦٠، ص ١٤٢)فمن الناحية النفسية، ترتبط المرأة بعلاقة عاطفية عميقة مع أفراد أسرتها، مثل الأب والأخ والابن، وهي علاقات تتجلى فيها مشاعر الحزن والفقد بشكل مباشر عند وقوع المصيبة، مما يدفعها إلى التعبير عن هذه المشاعر في صورة شعرية صادقة ومؤثرة. وقد انعكس هذا الصدق العاطفي في قوة نصوص الرثاء النسوي وعمق تأثيرها في المتلقي (علي، ١٩٩٣، ص ٣٧٨).ومن الناحية الاجتماعية، كانت المرأة أقل انخراطًا في مجالات الفخر والحرب والهجاء التي ارتبطت بالرجال، لذلك وجدت في الرثاء مجالًا مناسبًا للتعبير عن ذاتها دون الدخول في صراعات قبلية أو منافسات علنية، مما جعل هذا الغرض أكثر انسجامًا مع طبيعة دورها داخل القبيلة (الفاخوري، ١٩٨٦، ص ٢٠٥)كما أن الرثاء كان يُعدّ من الأغراض المقبولة اجتماعيًا للمرأة، بل ومطلوبًا في بعض الأحيان، لأنه يعكس مشاعر الوفاء والتقدير للميت، ويُسهم في تخليد ذكره، وهو ما منح المرأة مساحة للتعبير العلني مقارنة ببعض الأغراض الأخرى التي قد تُعدّ أقل ملاءمة لطبيعة حضورها الاجتماعي (البستاني، ١٩٧٩، ص ١٦٨)ومن الأمثلة البارزة في هذا السياق شعر الخنساء، التي عُرفت برثائها لأخويها، حيث عبّرت عن حزنها بأسلوب مؤثر جمع بين الصدق العاطفي وقوة الصورة الشعرية، مما جعلها نموذجًا واضحًا لتفوق المرأة في هذا الغرض تحديدًا (عباس، ١٩٧٨، ص ٢٣٥)وعليه، فإن تفوق الرثاء في الشعر النسوي لا يعود إلى عامل واحد، بل إلى تداخل عوامل نفسية واجتماعية وثقافية، جعلت هذا الغرض الأقرب إلى تجربة المرأة وأكثر انسجامًا مع طبيعة مشاعرها وموقعها في المجتمع الجاهلي، الأمر الذي أفرز نماذج شعرية ذات قيمة فنية وإنسانية عالية في هذا المجال.

ثالثاً: إعادة تقييم دور المرأة الشاعرة في ضوء النقد الحديث

شهدت الدراسات النقدية الحديثة تحولًا ملحوظًا في النظر إلى حضور المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي، حيث لم يعد يُنظر إلى هذا الحضور بوصفه هامشيًا أو محدودًا فقط، بل جرى إعادة قراءته في ضوء مناهج نقدية جديدة تسعى إلى إنصاف الصوت النسوي وإبراز إسهاماته ضمن السياق الأدبي العام (عباس، ١٩٧٨، ص ٢٦٠)فقد عمل النقد الحديث على مراجعة الصورة التقليدية التي رسمها بعض الدارسين القدامى، والتي ركزت على هيمنة الصوت الذكوري في الشعر الجاهلي، إذ بدأت دراسات لاحقة بالبحث في النصوص المنسوبة إلى النساء وإعادة تحليلها من حيث القيمة الفنية والدلالية، مع التأكيد على أن قلة النصوص لا تعني ضعف الإنتاج، بل قد تكون نتيجة لعوامل تاريخية وثقافية مرتبطة بآليات النقل والتدوين (حسين، ١٩٢٦، ص ١١٢)كما سعى بعض الباحثين إلى توظيف مناهج تحليلية حديثة، مثل النقد الاجتماعي والنقد الثقافي، لفهم موقع المرأة الشاعرة ضمن البنية القبلية، مما أتاح قراءة أعمق لدورها بوصفها فاعلًا ثقافيًا وليس مجرد عنصر هامشي، إذ يمكن من خلال هذا المنظور إعادة الاعتبار لصوتها بوصفه جزءًا من النسيج الأدبي للمجتمع الجاهلي (علي، ١٩٩٣، ص ٤٠٢)ومن جهة أخرى، ركّز النقد الحديث على إبراز الخصائص الفنية المميزة لشعر المرأة، مثل الصدق العاطفي، وعمق التجربة الوجدانية، والقدرة على التعبير المباشر عن المشاعر الإنسانية، وهي خصائص تمنح شعرها قيمة جمالية خاصة، قد لا تظهر بالضرورة في الأغراض التقليدية المرتبطة بالرجال (الفاخوري، ١٩٨٦، ص ٢٢٠).وقد ساهمت هذه الرؤية الجديدة في إعادة قراءة نماذج بارزة مثل الخنساء، حيث لم يعد يُنظر إلى شعرها بوصفه مجرد رثاء عاطفي، بل بوصفه تعبيرًا فنيًا متكاملًا يعكس تجربة إنسانية عميقة وقدرة لغوية عالية، مما يعزز من مكانة المرأة الشاعرة في تاريخ الأدب العربي (البستاني، ١٩٧٩، ص ١٨٠)وعليه، فإن النقد الحديث أسهم في إعادة تقييم دور المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي من خلال تجاوز النظرة التقليدية المحدودة، واعتماد مقاربات تحليلية أكثر شمولًا، أكدت أن حضور المرأة لم يكن غائبًا، بل كان موجودًا لكنه بحاجة إلى قراءة منصفة تكشف أبعاده الفنية والثقافية ضمن سياقه التاريخي.

الخاتمة

يتبيّن من خلال ما تم عرضه في هذا البحث أن المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي لم تكن غائبة عن المشهد الأدبي، وإنما كان حضورها محدودًا ومقيّدًا بعوامل اجتماعية وثقافية وتاريخية متعددة، أسهمت في تقليص انتشار شعرها وتداوله مقارنة بشعر الرجال. وقد كشفت الدراسة أن البنية

القبلية الذكورية، والعادات والتقاليد الصارمة، وضعف دور المرأة في المجال العام، شكّلت جميعها قيودًا أثّرت بشكل مباشر في ظهور الصوت الشعري النسوي كما أوضحت الدراسة أن ضعف التدوين واعتماد الشعر على الرواية الشفوية، إلى جانب انحياز الرواة والنقاد لشعر الرجال، وإشكالية نقل الشعر النسوي وتوثيقه، كانت من أبرز الأسباب التي أدت إلى ضياع جزء كبير من إنتاج المرأة الشعرية أو وصوله بشكل غير مكتمل. ومع ذلك، فإن ما وصل إلينا من نصوص يدل على أن المرأة الشاعرة امتلكت قدرة تعبيرية متميزة، تجلّت بوضوح في أغراض مثل الرثاء، الذي يُعدّ الأكثر حضورًا في شعرها، إضافة إلى الغزل والحكمة والتعبير الوجداني الصادق.وقد أبرزت الدراسة كذلك أن النقد الحديث قد أسهم في إعادة النظر في هذا الحضور النسوي، من خلال مقاربات أكثر إنصافًا وموضوعية، حاولت إعادة قراءة النصوص النسوية ضمن سياقها التاريخي والثقافي، بعيدًا عن الأحكام المسبقة التي قلّلت من شأنها. ومن هنا، يمكن القول إن المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي كانت حاضرة بفاعلية نسبية، لكن حضورها لم يُنصف في المدونات التقليدية، مما يستدعي المزيد من الدراسات لإعادة اكتشاف هذا الجانب المهم من التراث الأدبي العربي.

النتائج

خلص البحث إلى أن المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي كانت حاضرة في المشهد الأدبي، إلا أن هذا الحضور اتسم بالمحدودية مقارنة بحضور الرجل، نتيجة مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية التي أحاطت بالمجتمع الجاهلي. فقد أسهمت البنية القبلية الذكورية في تقييد دور المرأة في المجال العام، مما قلّل من فرص مشاركتها في المحافل الأدبية والأسواق التي كانت تُعدّ المنصات الرئيسة لانتشار الشعر وتداوله.كما بيّن البحث أن العادات والتقاليد كان لها أثر واضح في الحد من حرية التعبير لدى المرأة، حيث فرضت عليها أدوارًا اجتماعية محددة جعلت حضورها في المجال الشعري العام أقل ظهورًا، وحصرت تعبيرها غالبًا في نطاق المشاعر الذاتية والموضوعات التي تتناسب مع طبيعة موقعها داخل القبيلة. وفي السياق نفسه، كان لضعف التدوين والاعتماد على الرواية الشفوية دور كبير في ضياع جانب من الشعر النسوي أو وصوله بشكل غير مكتمل، وهو ما ساهم في تقليل حجم ما وصلنا من هذا الإنتاج الأدبي.وقد أظهر البحث أيضًا أن انحياز الرواة والنقاد لشعر الرجال كان من العوامل التي أثرت في تشكيل الصورة غير المتوازنة عن الشعر الجاهلي، إذ جرى التركيز على شعر الرجال وإبراز أغراضهم المتنوعة، في مقابل إهمال نسبي لشعر المرأة أو عدم الاهتمام بتوثيقه بالشكل الكافي. كما واجهت عملية نقل الشعر النسوي إشكالات متعددة، مثل تعدد الروايات والانتقاء الثقافي، مما أثّر في دقة نسب بعض النصوص وضياع بعضها الآخر.ومن ناحية فنية، تبيّن أن الرثاء شكّل الغرض الأبرز في الشعر النسوي، نظرًا لانسجامه مع طبيعة التجربة العاطفية للمرأة، في حين ظهرت أغراض أخرى مثل الغزل والحكمة بدرجات أقل. كما أكدت المقارنة بين إنتاج الرجل والمرأة أن الفارق لا يعود إلى ضعف في القدرة الإبداعية لدى المرأة، بل إلى اختلاف الظروف الاجتماعية ودرجة الإتاحة في التعبير والتوثيق.وأخيرًا، أشار البحث إلى أن النقد الحديث قد أسهم في إعادة تقييم دور المرأة الشاعرة من خلال مقاربات أكثر موضوعية، سعت إلى إنصاف صوتها وإبراز قيمته الفنية والإنسانية، مما يفتح المجال أمام إعادة قراءة هذا التراث الأدبي بصورة أكثر شمولًا وتوازنًا.

المراجع والمصادر

- أمين، أحمد، فجر الإسلام، ١٩٥٢، مصر، القاهرة.
- البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، ١٩٧٩، لبنان، بيروت.
- حسين، طه، في الشعر الجاهلي، ١٩٢٦، مصر، القاهرة.
- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ١٩٣٤، مصر، القاهرة.
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ١٩٦٠، مصر، القاهرة.
- عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ١٩٧٨، لبنان، بيروت.
- عبد الرحمن، نصرت، دراسات في الأدب الجاهلي، ١٩٨٥، مصر، القاهرة.
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٩٩٣، العراق، بغداد.
- الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، ١٩٨٦، لبنان، بيروت.
- نصار، حسين، الشعر العربي القديم، ١٩٨٠، مصر، القاهرة.